

أهداف الدرس

- ◀ أن أتعرف وصايا الناظم لقارئ النظم وعموم الناس .
- ◀ أن أستنتج فضل الله عز وجل وثوابه لأهل طاعته .
- ◀ أن أتمثل وصايا العلماء وألتزم بها في حياتي .

تمهيد

في نهاية هذه المقدمة الجامعة أورد الناظم رحمه الله جملة من الوصايا النافعة ، ثم ختم بآداب سنية ، وفوائد إيمانية ، وأخلاق عالية تورث تزكية النفس ، وصدق التوجه إلى الله تعالى ، وتثمر صلاح القصد والعمل ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

فما هي هذه الوصايا والآداب؟ وما آثارها على من التزم بها وعمل بمقتضاها؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

- 79- وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوَنَامُ وَرَوْحُهُ *** لَطَاحَ الْأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخَلْفِ وَالْقَلَى
- 80- وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا وَعَنْ غِيْبَةٍ فَعِبْ *** تَحْضُرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغْسَلًا
- 81- وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالتِّي *** كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرِ فِتْنَجُو مِنَ الْبَلَا
- 82- وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ *** سَحَائِبُهَا بِالْدَّمَعِ دِيمًا وَهَظَلًا
- 83- وَلَكِنَّهَا عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا *** فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلًا
- 84- بِنَفْسِي مَنْ اسْتَهْدَى إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ *** وَكَانَ لَهُ الْقُرْءَانُ شَرْبًا وَمَغْسَلًا
- 85- وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفْتَقَتْ *** بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلًا
- 86- فَطُوبَى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ *** وَزَنْدُ الْأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعَلًا

- 87- هُوَ الْمُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ *** قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَلاً مُؤَمَّلاً
- 88- يَعْدُ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلَى لَأَنَّهُمْ *** عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ يُجْرُونَ أَفْعَلاً
- 89- يَرَى نَفْسَهُ بِالذِّمِّ أَوْلَى لَأَنَّهَا *** عَلَى الْمَجْدِ لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا
- 90- وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ *** وَمَا يَأْتِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذَّلاً
- 91- لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي *** جَمَاعَتَنَا كُلَّ الْمَكَارِهِ هَوْلَا
- 92- وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ *** شَفِيعاً لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوهُ فَيَمَحَلَا
- 93- وَبِاللَّهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي *** وَمَالِي إِلَّا سِتْرُهُ مُتَجَلَّلَا
- 94- فَيَارَبِّ أَنْتَ اللَّهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي *** عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلَا

الفهم

الشرح:

حَظَارَ: ما يحوط به على الماشية من أغصان الشجر لتقيها الحر والبرد.

دِيمًا: الديم: جمع ديمة وهو المطر الدائم، وقيل أقله يوم وليلة.

وَهْطَلًا: الهطل تتابع المطر والدمع وسيلانه.

عَبِير: العبير: الزعفران والرائحة الزكية، وقيل: هو أخلاط من الطيب يجمع بالزعفران.

وَزَنْدًا: الزند الأعلى مما يقدح به النار والزنده السفلى استعارة له.

استخلاص المضامين:

- ◀ بم أوصى الناظم رحمه الله قارئ منظومته؟
- ◀ بم توجه إلى الله تعالى في ختام منظومته؟

التحليل

اشتملت هذه الأبيات على ما يأتي:

أولاً: وصايا الناظم رحمه الله

ختم الناظم رحمه الله مقدمة قصيدته بجملة من الوصايا ، وقد بدأها بقوله:

وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوِثَامُ وَرَوْحُهُ *** لَطَاحَ الْأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقَلَى
وَعِشْ سَالِمًا صَدْرًا وَعَنْ غِيْبَةٍ فَعِبْ *** تَحْضُرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغْسَلًا

تضمن هذان البيتان الوصايا الآتية:

- الميل إلى الوفاق مع الناس ونبذ الاختلاف؛ لأن الوفاق سبب الحياة الهادئة، والاختلاف سبب الهلاك؛ إذ لولا الموافقة لهلك الأنام في الاختلاف والتباغض، وفي المثل: «لولا الوثام لهلك الأنام».
- أن يعيش سالم الصدر أي: خالصة من كل غش.
- أن يبتعد عن الغيبة، وهو قوله: «وَعَنْ غِيْبَةٍ فَعِبْ» أي: لا تحضر مع المغتابين؛ لأن الغياب عن الغيبة يجعله منقًى من الذنوب، مطهراً من العيوب، ويكون سبباً له في حظار القدس وهي الجنة، وقيل: هو موضع في السماء فيه أرواح المؤمنين.

ثم قال:

وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي *** كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَتَجَوَّ مِنْ الْبَلَا

- هذا إشارة إلى زمانه: أي: هذا الزمان زمان الصبر؛ لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر، وأوذي المحق وأكرم المبتل، فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كقابض على جمر، فتأس به فتسلم من العذاب. وقد أشار بذلك إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» [سنن الترمذي، أبواب الفتن].

ويقال فيما يستبعد وقوعه: «من لك بكذا». والبلاء ممدود، قصره الناظم، وأصله الاختبار، والمراد به هنا عذاب الآخرة.

ثم قال:

وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدَتْ لَتَوَكَّفَتْ *** سَخَائِبُهَا بِالْدَّمْعِ دِيماً وَهَظَلَا
وَلَكِنَّهَا عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا *** فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْشِي سَبْهَلًا

أي: لو أن عينا عاونت صاحبها على البكاء «لَتَوَكَّفَتْ . . . سَحَائِبُهَا» أي: لهطلت وسال دمعها دائما بكثرة بكائها، على التقصير في الطاعة، ولكن لم ينقطع دمعها إلا بسبب أن القلب قاس، قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَفَسَاءُ الْقَلْبِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا» [مسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك].

وقوله: «فَيَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ» نادى ضيعة الأعمار على معنى التأسف، وضبيعة الأعمار ذهابها بلا كسب عمل صالح. «تَمْشِي سَبْهَلًا» أي: تمضي فارغة، يقال لكل شيء فارغ سهل.

ثم قال:

بِنَفْسِي مَنِ اسْتَهْدَى إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ *** وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَرْبًا وَمَغْسَلًا
وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ *** بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلًا

أي: أفدي بنفسي من كل محذور من طلب الهداية من الله وحده لا من غيره، في زمن إعراض الناس عنها، وكان له القرآن «شَرْبًا» أي: نصيبا، أي: إذا اقتسم الناس حظوظهم كان القرآن حظه يتروى به، «وَمَغْسَلًا» يتطهر به من الذنوب، أي: بدوام تلاوته والعمل بما فيه.

و«طَابَتْ» على المستهدي «أَرْضُهُ» لما عنده من الانشراح؛ بسبب صلاح حاله مع الله تعالى، «فتفتقت» فتفتحت له «بكل عبير» لما يثني به عليه أهلها من الثناء الذي يشبه العبير طيبا «حين أصبح مخضلا» أي: مبتلا، كنى الناظم بذلك عما أفاض الله عليه من نعمه بالمحافظة على حدوده:

فَطُوبَى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمَّهُ *** وَزَنْدُ الْأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعَلًا
هُوَ الْمُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ *** قَرِيبًا غَرِيبًا مُسْتَمَلًا مُؤَمَّلًا

أي ما أطيب عيش المستهدي المتمسك بالقرآن حين يثير الشوق إرادته وقصده إلى ثواب الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم، يثير إرادته ويوقظها مهما أنس منها فتورا أو غفلة. حين يحترق قلبه من الأسى والحزن متحسرا على ما ضاع من عمره، غير مصروف إلى ذكر الله تعالى وشكره.

وبهذه الصفات يكون هو المجتبى أي: المختار، يمر بالناس متصفا بهذه الصفات المذكورة قريبا من الله، غريبا من الناس، فيطلب منه من يعرف حاله الميل إليه والإقبال عليه، ويؤمل عند نزول الشدائد.

يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلَى لَأَنَّهُمْ *** عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ يُجْرُونَ أَفْعَلًا

يَرَى نَفْسَهُ بِالذِّمِّ أَوْلَى لَأَنَّهُا *** عَلَى الْمَجْدِ لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا

يعني أن المستهدي المتمسك بالقرآن يعتقد أن كل واحد من الناس مولى، أي: عبد لله مأمور مقهور له، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فلا يرجوهم ولا يخافهم؛ لأن أفعالهم تجري على ما سبق به القضاء والقدر.

ومن صفاته أنه لا يشغل نفسه بعيب الناس وذمهم، وإنما يرى ذمه لنفسه أولى؛ لأنها على المجد أي: على تحصيل المجد وهو الشرف، «لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا»، أي: لم تتحمل المكاره وعبر عن تحمله ذلك بتناول ما هو مر المذاق كلعق «الصَّبْرِ» بفتح الصاد وكسر الباء، وسكنها الناظم تخفيفا، وأكل «الألَا» الذي هو نبت مر يشبه الشيح رائحة وطعما.

ومن صفاته كذلك إخلاص النصح لله تعالى، فلا يقصر في محبة الخير للناس وخدمتهم، كما قال «وَمَا يَأْتِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَدِّلًا» والنصح: ضد الغش: والتبذل في الأمر: الاسترسال فيه لا يرفع نفسه عن القيام بشيء منه جليله وحقيقه.

ثانيا: التوجه إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء

لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي *** جَمَاعَتَنَا كُلَّ الْمَكَارِهِ هُوَلَا
وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ *** شَفِيعًا لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوهُ فَيَمَحَلَا

أي: لعل الله تعالى يقينا إن قبلنا هذه الوصايا وعملنا بها جميع مكاره الدنيا والآخرة وأهوالها، ويجعلنا ممن يفوز بشفاعه الكتاب العزيز، أشار الناظم إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «أَقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ». [صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة]. وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا» [سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في كنس المسجد]. وفي الدعاء «ولا تجعل القرآن بنا ماحلا»، يقال محل به: إذا سعى به إلى سلطان أو نحوه، وبلغ أفعاله القبيحة.

وَبِاللَّهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي *** وَمَالِي إِلَّا سِتْرُهُ مُتَجَلَّلَا

«حولي» أي: تحولي، من حال إلى حال، والاعتصام: الامتناع والقوة: القدرة، أشار إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» [صحيح البخاري،

كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة]، وفسرها عليه الصلاة والسلام لابن مسعود: «لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله».

قوله: «وَمَالِي إِلَّا سِتْرُهُ» أي: وما لي ما أعتمد عليه إلا ما جللني به من ستره في الدنيا، وأنا أرجو مثل ذلك في الآخرة. وقوله: «مُتَجَلِّلاً» أي: متغطياً به

فَيَارِبَّ أَنْتَ اللَّهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي * عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعاً مُتَوَكِّلاً**

حسبي أي: مُحْسِبِي، والمُحْسَبُ: الكافي، والعدة بضم العين: ما يعد للحوادث، واعتمادِي: مصدر اعتمد عليه أي: استعان به، والضارع: الدليل، والمتوكل: المظهر العجز معتمداً على من يتوكل عليه، وقد نظم في هذا البيت معنى «حسبنا الله ونعم الوكيل».

التقويم

1. أذكر الوصايا التي أوصى بها الناظم قارئ قصيدته.
2. ما هي الصفات التي دعا الناظم إلى اجتنابها؟ ولماذا؟
3. «للمستمسك بالقرآن الكريم منزلة عظيمة» بم تتحقق علماً وعملاً، ظاهراً وباطناً؟

الاستثمار

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ النَّفِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».

[سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى].

1. أبين المعنى العام للحديث، وعلاقته بمضامين الدرس.
2. أعدد الآثار النفسية والاجتماعية لسلامة الصدر.

الإعداد القبلي

أحفظ متن الدرس القادم، وأقوم بالآتي:

1. أبحث عن الصيغة المختارة للاستعاذة والحديث الوارد في ذلك.
2. أبحث عن محل الاستعاذة وحكم الجهر بها.